جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية

مجلة الدراسات الأفريقية

* الدين والسياسة في المغرب الأقصى الدعوة الموحدية نموذجاً
* مؤسسات النشاط التجاري البحري للمغرب الأدنى (من القرن ٥ - ٧ هـ/١١ - ١٣ م)
* المشاريع والعمارة المائية في المغرب الأقصى عصر دولة بني مرين
* تطور الحياة الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي خلال القرن(١١هـ/١٧م)
* التبادل التجارى بين جنوب أفريقيا وإسرائيل (١٩٤٨-١٩٧٦)
* تأثير اتجاه غانا للاتحاد مع غينيا على إنهاء تبعية غانا للكومنولث البريطاني في ١٩٥٨
* أثر المناخ على السياحة فى إقليم شرقى أفريقيا
* التجمعات الريفية حول بحيرة النوبة فى جمهورية السودان
* أثرالكهرباء على التنمية الريفية في جمهورية جنوب أفريقية
* قضية مياه النيل في السياسة الخارجية المصرية في ضوء التحديات الراهنة
* حركات الإسلام السياسي وتأثيراتها في دول أفريقيا جنوب الصحراء
* إدماج النوع الاجتماعي في صناعة القرار السياسي بدول أفريقيا وراء الصحراء
* الإلهة خنست ودورها فى الديانة المصرية القديمة
* الانعكاسات الصحية للممارسات الثقافية والعوامل الإيكولوجية دراسة أنثروبولوجية لجمهورية الكنغو الديمقراطية
* دور المرأة في عملية التنشئة الثقافية منذ الميلاد حتى سن السادسة في مجتمع الخرطوم بحري بجمهورية السودان
* هرمية الصلة Accessibility hierarchy بين اليابانية والأمهرية
* الذي الموصولة الحرفية
* أسلوب الاستفهام في لغة الهوسا (دراسة نحوية تطبيقية)

العـدد ٣٧
يناير ٢٠١٥

مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر

مجلة الدراسات الأفريقية
العدد ٣٧ يناير ٢٠١٥

AFRICAN STUDIES REVIEW
ISSUE 37 January 2015

CAIRO UNIVERSITY
INSTITUTE OF AFRICAN RESEARCH AND STUDIES

AFRICAN STUDIES REVIEW

* FACTORS INFLUENCING FARMERS› ADOPTION OF IMPROVED CROP PRODUCTION TECHNOLOGY IN KATSINA STATE, NIGERIA
MOUKHTAR MUHAMMAD IDRIS

ISSUE 37 January 2015

مجلة الدراسات الإفريقية

العدد السابع والثلاثون يناير ٢٠١٥

يصدرها سنوياً معهد البحوث والدراسات الإفريقية ـ جامعة القاهرة

رئيس التحرير :

أ. د. حسن محمد صبحى — عميد المعهد

نائل رئيس التحرير :

أ. د. سلطان فولى حسن — وكيل المعهد للدراسات العليا

أ. د. حسين سيد عبد الله مراد — وكيل المعهد للدراسات العليا

مدير التحرير :

د. عمر عبد الفتاح

ترسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور حسن محمد صبحى

معهد البحوث والدراسات الإفريقية

جامعة القاهرة

ت : ٣٥٦٧٥٥٠١ - ٣٥٦٧٥٥٠٨

رمز بريدى ١٢٦١٣ أورمان / جيزة

(ج.م.ع)

رقم الإيداع : ١٢٦٤٣ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي ISSN : ١١١٠ / ٦٠١٨

م	المحتـــــويـــات	رقم الصفحة
١	الدين والسياسة في المغرب الأقصى الدعوة الموحدية نموذجاً أ.د. حسين سيد عبد الله مراد	١ ـ ٤٨
٢	مؤسسات النشاط التجاري البحري للمغرب الأدنى (من القرن ٥ ـ ٧ هـ/١١ ـ ١٣ م) أ. صابر عبد المنعم محمد علي البلتاجي	٤٩ ـ ٦٤
٣	المشاريع والعمارة المائية في المغرب الأقصى عصر دولة بني مرين (٦٦٨- ٨٦٩هـ / ١٢٦٩- ١٤٦٤م) أ. إبراهيم الشامى	٦٥ ـ ٩٤
٤	تطور الحياة الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي خـلال القرن (١١هـ / ١٧م) د. مطير سعد غيث	١٢٣ ـ ١٥٤
٥	التبادل التجارى بين جنوب أفريقيا وإسرائيل (١٩٤٨-١٩٧٦) أ. بدوى رياض عبد السميع	١٣١ ـ ١٥٤
٦	تأثير اتجاه غانا للاتحاد مع غينيا على إنهاء تبعية غانا للكومنولث البريطاني في ١٩٥٨ أ. أسامة عبد التواب محمد عبد العظيم	١٥٥ ـ ١٨٢
٧	أثر المناخ على السياحة فى إقليم شرقى أفريقيا د. عطيه محمود محمد الطنطاوى	١٨٣ ـ ٢٢٠
٨	التجمعات الريفية حول بحيرة النوبة فى جمهورية السوادن (الواقع العمرانى والإمكانات المتاحة والتوقعات المستقبلية) د. أحمد سيد شحاته	٢٢١ ـ ٢٩٠
٩	أثرالكهرباء على التنمية الريفية في جمهورية جنوب أفريقية مصطفى عبد المجيد محمد إبراهيم رحومه	٢٩١ ـ ٣٥٠
١٠	قضية مياه النيل في السياسة الخارجية المصرية في ضوء التحديات الراهنة د. محمد سالمان طايع	٣٥١ ـ ٣٩٤
١١	حركات الإسلام السياسي وتأثيراتها في دول أفريقيا جنوب الصحراء د. البشير الكوت	٣٩٥ ـ ٤٢٨
١٢	إدماج النوع الاجتماعي في صناعة القرار السياسي بدول أفريقيا وراء الصحراء (دراسة تحليلية في المؤسسات التمثيلية) أ.د. نعيمة سمينة	٤٢٩ ـ ٤٤٦
١٣	الإلهة خنست ودورها فى الديانة المصرية القديمة د. إسلام إبراهيم عامر	٤٤٧ ـ ٤٦٩

م	المحتـــــويـــات	رقم الصفحة

١٤ الانعكاسات الصحية للممارسات الثقافية والعوامل الإيكولوجية
دراسة أنثروبولوجية لجمهورية الكنغو الديمقراطية
د. تامر جاد راشد أ. محمد جلال حسين ٤٧١ ـ ٥٢٦

١٥ دور المراة في عملية التنشئة الثقافية منذ الميلاد حتي سن السادسة
في مجتمع الخرطوم بحري بجمهورية السودان
إيناس حسام الدين عبد الخالق عطية ٥٢٧ ـ ٥٦٠

١٦ هرمية الصلة Accessibility hierarchy بين اليابانية والأمهرية
«دراسة تنميطية»
أ. إيمان إسماعيل منصور د. أحمد عوض د. عمر عبد الفتاح
د. ماهر الشربيني ٥٦١ ـ ٦٠٠

١٧ الذي الموصولة الحرفية
د. إلياس عباس ٦٠١ ـ ٦١٤

١٨ أسلوب الاستفهام في لغة الهوسا (دراسة نحوية تطبيقية)
د٠ سمير عزت إبراهيم إسماعيل ٦١٥ ـ ٦٦١

تطور الحياة الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي[١] خلال القرن (١١هـ / ١٧م)

د. مطير سعد غيث(*)

مقدمة:

في الوقت الذي تؤكد فيه المصادر والمراجع التاريخية التي أرّخت لبلاد السودان الغربي على أن - الأخيرة - قد شهدت أزهى عصورها التاريخية خلال القرن العاشر للهجرة / السادس عشر للميلاد. فإنها تُصنف - أيضاً - الفترة اللاحقة لها ، وهي القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد ، والتي وقعت فيها بلاد السودان الغربي تحت الحكم المغربي حوالي عام ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م ، بأنها مرحلة الفراغ الكبير أو الانهيار الكبير ، أي فترة ركود سياسي واقتصادي وثقافي واجتماعي وانفلات أمني وسياسي[٢]، وفي ذات الوقت ترى غيرها من المصادر والمراجع ما يخالف ذلك الاستنتاج[٣] .

ورغم تشعب هذا الموضوع ، وتعدد مباحثه ، فإن كاتب هذه الدراسة سوف يتناوله من خلال فرضية استمرار ازدهار الأحوال الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي رغم تكدّر الأحوال الأمنية والسياسية ، وبالذات خلال النصف الأول من القرن مجال الدراسة . وسيلقي الضوء على هذا الموضوع من خلال إثارة جملة من الاستفسارات ، ثم محاولة الإجابة عليها ، ومنها : هل كان الحُكم المغربي للسودان الغربي غزواً ؟ أم كان فتحاً ؟ وكيف كانت ظاهرة انتقال العلماء والفقهاء من المدن والحواضر إلى الصحاري والأرياف والبوادي ؟ وكيف ساهم التغلغل الأوروبي الذي استهدف أنحاء المنطقة المُطلة على نواحي المُحيط الأطلسي في خلق هذه الظروف ؟ وكيف كانت هذه الظاهرة سبباً في ازدهار العلوم والثقافة ؟ ونشأة وابتكار مؤسسات علمية تلاءم الوضعَ الجديدَ ، والتي سُميت المحاضر. وما

(*) الأستاذ المُشارك بكلية الآداب والتربية - جامعة الزيتونة.

هي مجالات الازدهار التي شهدتها الحياة العلمية ؟ من خلال الإشارة إلى بعض هــذه المراكز القروية وأهمّ العلماءِ الذين برزوا في الفترة الزمنية لهذه الدراسةِ ، ونماذجَ من مؤلفاتهم .

وحيث أن الفترة الزمنية المستهدف دراستها ، قد شهدت سيطرة السعديين على المنطقة بعد نجاح الحملة العسكرية التي أرسلها المنصور السعدي في إسقاط مملكة صنغي، وهذا الأمر في حد ذاتــه مثار خــلاف بين العديد من المصادر والمراجــع التاريخـية – المُشار إليها ، وغيرها[٤].

وهنا ليس مجالاً للإسهاب في الحديث عن امتداد الحُكم المغربي على بلاد السودان الغربي[٥]، غير أنه من المهم الإشارة إلى أن تلك المنطقة صارت مُرتبطة ارتباطــاً مباشــراً بالدولــة السعدية[٦]، التي كان سلاطينها يرسلون من ينوب عنها لحُكم تلك الأصقاع. وقد تعاقب الباشاوات المغاربة السعديون في حكم المنطقــة حتى نهاية الأسرة السعدية حوالي أوائل النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد، ولم تنقطع الخُطبة باسم السلاطين السعديين على منابر مساجد صنغي إلا في عام ١٠٧٠ هـ / ١٦٦٠م بحسب رواية صاحب تذكرة النسيان[٧]. ومعلوم أن الأسرة السعدية قد شهدت في أواخر أيامها صراعاً مُحتدماً بين أبناء وأحفاد السلطان أحمد المنصور السعدي[٨]، مما أثّـر سلباً على الأوضاع السياسية والإدارية في السودان الغربي، مما أتاح الفرصة لظهور طبقة الرماة أو الأرما[٩] والمفرد رام وهذا اللفظ مُشتق من الكلمة العربية (رامي) من جنود المُشاة المسلحين بالبنادق، أي الرُماة، وهم حملة السلاح، وقد سُموا بذلك لدقة تصويبهم للهـدف، وهم هجين جديد نتج عن زواج جنود الحملة المغربية وإداريها من نساء الطبقة الأُرستقـراطية المحلية في بلاد السودان الغربي ، وقد لعب هؤلاء المولدَون دوراً هاماً في تاريخ المنطقة م تصدع حُكم الأسرة السعدية ، وحتى إحتلال الفرنسيين لها أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[١٠]. وجدير بالذكر أن المورسكيين الوافدين من الأندلس على المغرب الأقصى، قد أطلق عليهم – أيضاً – الرُماة بعد إقامتهم في المغرب [١١].

وبسقوط السعديين آل الأمر في المنطقة إلى الأسرة الفيلالية العلوية الشريفة التي تولت مقاليد الحُكم في المغرب الأقصى حوالي عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦م، والدليل على ذلك ما نقله المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي من وجود رسالة للسلطان المولى إسماعيل الشريف العلوي (١٠٨٢ - ١١٣٢ هـ/ ١٦٧٢ - ١٧٢٧م) بالخزانة الوطنية باريس جاء في مقدمتها أن علماء تنبكت وعليّة قومها ، قد بايعوه وقدموا له الولاء [١٢].

وستتم دراسة هذا الموضوع على النحو التـــالي :-

أولاً– ظاهرة انتقال العُلمـاء مـن المُدن إلى الأرياف والبوادي وآثارها :

عند الحديث عن أحوال المنطقة خلال القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد تجدر الإشارة إلى ظاهرة انتقال العلماء والفقهاء من المدن والحواضر إلى الصحاري والأرياف والبوادي ، ذلك أن الانتقال الجماعي كان بسبب سقوط تلك الحواضر بيد الحُكم المغربي وتفكك سلطنة صنغي التي كانت تتوحد عموم المنطقة تحت لوائها عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م .

وترتبط جملة التطورات الفكرية في المنطقة ، والتي نتجت عن الحملة المغربية على بلاد السودان الغربي – المُشار إليها – بما آل إليه حال الطبقة المثقفة (طبقة الفقهاء والعلماء) ، إثر معارضتهم امتداد السيادة المغربية على بلادهم ، تلك الحادثة التاريخية الشهيرة التي اختلف في تفسيرها وتقييمها المؤرخون ، حيث يرى البعض منهم أنها كانت نكسة للحركة العلمية التي كانت في أوج ازدهارها في تلك الفترة ، في حين يعتقد البعض الآخر ، أنها كانت تعبيراً عنيفاً عن الانتقال من مرحلة إلى أخرى في التاريخ الثقافي للمنطقة ، وقد تمثل ذلك في الانتقال من مرحلة التحالف بين السلطة والفقهاء، حيث كان الآخرون (الفقهاء) يبسطون رداء الشرعية على السلطة الحاكمة . في حين لم تبخل تلك السلطة في إغداق امتيازاتها وأعطياتها على هؤلاء الفقهاء والعلماء ، إلى مرحلة جديدة كان من أبرز معالمها استغناء الحكام عن الشرعية الممنوحة من الفقهاء واستمدادهم الشرعية من مصادر غير إسلامية.

وهذه الملاحظة تنطبق على الإمارات الوثنية في السودان الغربي كما هو الحال على المشيخات القبلية في الأوساط الإسلامية ، حيث حلت ايدولوجيا القوة وما يرتبط بها من قيم الفروسية محل مبدأ الشورى ، ولقد كان لهذه الأوضاع الجديدة أثرها على المنطقة ، حيث بدأ العلماء والفقهاء يتجهون إلى عامة الناس في الأرياف والصحاري ، ينشرون اللغة العربية والثقافة الإسلامية ويحصلون مقابل ذلك على بعض الهدايا [١٣] .

وصـــار - نتـــاجاً لتلك التحولات - انتقال الحركة العلمية والثقافية من المدن والحواضر الرئيـسية إلى البوادي والأرياف ، وصارت مصالح العلماء والفقهاء والمشائخ أكثر ارتباطاً بمصالح العامة من سُكان الصحاري والأرياف والبوادي.

وسيتلمس هذا البحث الدور المهم الذي لعبه العلماء في هذه البوادي والأرياف في انتشار الإسلام و اللغة العربية.

وتتضح أهمية هذه التحولات ودلالاتها إذا ما علمنا أن المراكز الحضرية قبل القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي كانت نقطة جاذبة للمتعلمين والعلماء من سكان البوادي والأرياف، بل إن هؤلاء المعلمين والمتعلمين يأسفون لما أضاعوه من أعمارهم خارج المراكز الحضرية، ويحكي السعدي قصة تؤكد ذلك[١٤].

أخذت الحركة العلمية تتجه من المدن إلى البوادي والأرياف منذ القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وذلك بسبب التحولات الجديدة التي شهدتها المنطقة، وأصبحت مصالح العلماء والفقهاء أكثر ارتباطاً بمصالح العامة من سكان الصحاري والأرياف والبوادي. وظهر نتاجاً لكل ذلك انتشار الدراسات الإسلامية خارج المراكز الحضرية، حيث ازدهرت الحياة العلمية في المناطق التي اصطلح الباحث على تسميتها باسم البوادي والأرياف، وكانت الأسر العلمية التي عرفت بالزوايا، والتي تتكون غالباً من أصل صنهاجي قد اعتزلت الحرب وتفرغت لنشر الثقافة والعلوم مما يجعلها المتحكمة في أذهان المتعلمين من أهالي السودان المستقرين[١٥].

وقد صار هذا الازدهار الثقافي يسير بشكل متدرج من المـراكز الحضرية إلى المراكـز القروية في حركة انتقال بطيء لمراكز الثقل السياسي والاقتصادي

من المراكز الصحراوية إلى موانئ السواحل الأطلسية . ونظراً لتنامي أهمية السواحل الأطلسية - بسبب ما ذُكر أعلاه - فإن حركة الانتقال متجهة في مرحلتها الأولى من المدن الأقرب إلى المراكز الساحلية في مرحلة أولى ثُم إلى البوادي القريبة من الساحل الأطلسي فيما بعد [١٦] .

وصار نتاجاً لجُملة تلك التحولات أن أصبحت مصالح العُلماء والفُقهاء والمشائخ أكثر ارتباطاً بمصالح العامة من سُكان الأرياف والبوادي , وبذا انتقل مركز الثقل السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلى المناطق الصحراوية – المشار إليها – حيث موطن القبائل الرحل .

ولعل من أبرز الأمثلة على انتقال العلماء خارج المدن هو ما أورده المؤرخ عبد الرحمن السعدي (١٠٠٤ – ١٠٥٦ هـ/ ١٥٩٦ – ١٦٥٥م) في كتابه : (تاريخ السودان) من قيامه هو ذاته كفقيه بالرحيل خارج مسقط رأسه تنبكت[١٧] إلى بعض القرى والأرياف عدة مرات ، وذلك ليسرد كتاب الشفاء وتفسيره في شهر رمضان المُبارك[١٨]، أو لعقد صُلح بين مُتخاصمين[١٩]، أو ليغسّل ميتاً أو ليُصلي على جنازة، ومُقابل هذه الخدمات الدينية والاجتماعية كان الفقيه عبد الرحمن السعدي يحصل على بعض الأعطيات من ملابس وحبوب وماشية ورقيق[٢٠] .

ويعد من أوائل المُهاجرين من تُنبكت إلى بعض البوادي والأرياف بالمنطقة الفقيه شمس الدين بن القاضي محمد بن الفقيه محمود بن عمر، من أسرة آل أُقيت[٢١] الشهيرة في تاريخ السودان الغربي، كما هاجر إلى ولاتّة [٢٢] الفقيه محمد المُلقب بالتنبكتي، فأصبح قاضي ولاتّة وعالمها على زمانه، على حد تعبير المؤرخ محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي (١١٤٠ – ١٢١٩ هـ/ ١٧٥٤ – ١٨٢٤ م) صاحب كتاب (فتح الشكور في معرفة أعيان عُلماء التكرور) [٢٣] .

وتذُكر المصادر التاريخية أن أجداد الفقيه محمد التنبكتي – المُشار إليه – كانوا قد رحلوا عن ولاتّة إلى تنبكت ، ورحل هو إلى ولاتّة في بداية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وهي موطنه الأصلي ، وبقي فيها حتى تُوفى عام ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م [٢٤] .

وتحفل المصادر التاريخية بأسماء كثير من الشخصيات والأُسر العلمية التي غادرت المراكز الحضرية مُيممة شطر الأرياف والبوادي خلال هذه الفترة التاريخية ، بل إن أغلب قبائل الزوايا ممن سكنوا البواديّ والأرياف يُصرّون على أن أجدادهم قد هاجروا إلى تلك الأنحاء من مراكز حضرية محددة في ظروف يذكرونها تفصيلاً [٢٥] .

ورغم أن هذه المناطق لعبت أدواراً هامة خلال الفترة الزمنية التي يدرسه هذا البحث، فإنها لم تنل الشهرة والتعريف في المصادر التاريخية كما نالتها رصيفاتها من المراكز الحضرية – المدن – وذلك بسبب طابع البداوة الغالب على أهلها، حيث أن المناطق النائية عن المراكز الحضرية لا تكون نقطة جاذبة للمؤرخين والرحالة الذين يقومون بالتدوين والكتابة والتاريخ لنشأة تلك المناطق ونشاطاتها المختلفة، كما أن طابع البداوة الذي كان سمة أساسية لأهلـــها جعلـهم لا يولـون اهتمـاماً بتسجيل تاريخــهم وتوثـيق أحـداثه. يقول الباحث النيجري المعاصر محمد أحمد شفيع، أنه سمع من أحد أجداده رواية نقلت عن أجداده الأول الذين كانوا يعيشـون في منطقة شمال النيـجر، والذين عاصـروا السلطـان محـمد بللـو (١١٩٥ – ١٢٩٣هـ /١٧٨١ – ١٨٣٧م)، أن السلطان المذكور كان يقول لهم أنكم أصحاب علم، ولكنكم لا تهتمون بتدوين ذلك[٢٦].

ويعتقد الباحث أن ذلك الضعف في الاهتمام بالتوثيق لدى أهالي وعلماء تلك البوادي والأرياف، وضياع العديد من مؤلفاتهم بسبب الظروف المختلفة كانا سبباً في ضياع مادة علمية هامة عن تاريخ وأحوال تلك المناطق .

وقد ظهر نتاجاً لتلك الأوضاع انتقال الكثير من الفُقهاء إلى هذه البوادي والأرياف وبروز العديد من الظواهر من بينها ابتكار مؤسسات علمية جديدة تناسب ذلك الوضع الجديد، وتعتمد ـ اقتصادياً ـ على عوائد التجارة الأطلسية، مع ما ينطوي عليه ذلك من ضغوط اجتماعية وإشكاليات فقهية (التعامل مع النصارى)، وصارت هذه المؤسسات تعمل على انتقال المعارف والعلوم من المراكز القديمة إلى مجالها الجديد، فـبدلاً من الحلقات العلمية التي كانت تحتضنها المساجد

والجوامع والزوايا[٢٧] في الحواضر ابتدع بتلك الربوع نظام الدراسة الذي عرف باسم المحاضر[٢٨] والمفرد محضرة، ومعناها الجامعات البدوية المتنقلة، والتي هي مدارس علم، ورباط جهاد، ومنارة إشعاع، كما كانت وعاء للتواصل الثقافي والفكري والعلمي والديني على مدى قرون في تلك البقاع .

وصار يفد على هذه المحاضر جموع الطلاب من مناطق نائية نسبياً , ولهذا صاروا يعرفون باسم (تلاميذ الغربة)، وهم يحلون ويظعنون مع الحي البدوي الذي يوجد فيه شيخ محضرتهم دون أن تتعطل دراستهم[٢٩].

فما هي العوامل التي أدت إلى نشأة ذلك النمط الجديد من التعليم ؟ وما مدى تأثيرها على ألأوضاع العلمية في السودان الغربي ؟

مازالت مؤسسة المحضرة تثير اهتمام الباحثين والدارسين ، غيـر أن دراسة الباحث الموريتاني الخليل النحوي : بلاد شنقيط : المنارة والرباط ، تأتي في مقدمة الإسهامات العلمية التي ساهمت في إلقاء الضوء حول هذا الموضوع الهام . ولقـد استعرض الخليل النحوي شهادات الباحثين التي أجمعت على الإشادة بهذه المؤسسة العلمية الفريدة من نوعها في العالم الإسلامي إن لم يكن في العالم قاطبة .

وقد رجّح الخليـل النحوي أن قيام المحاضر يرجع إلى عدة عوامل أهمها[٣٠]:-

١-كون الإسلام دين العلم .

٢-تجارة الصحراء والمحيط .

٣- الهجرة إلى البلاد .

٤-الحروب والنزاعات القبلية .

٥-حياة البداوة .

٦-الرحلات الدينية .

٧-المراسلات .

٨-الطُرق الصوفية.

ويلاحظ أن مؤسسة المحضرة لم تكن ظاهرة شنقيطية - أي خاصة بمنطقة شنقيط - كما يبدو من خلال كتاب الخليل النحوي، ولكن الباحث يعتقد أن تلك المؤسسة كانت نتاجاً للظروف الموضوعية التي شهدت انتقال العلماء والفقهاء من المدن إلى الأرياف في كامل أنحاء بلاد السودان الغربي - إن لم يكن في معظم المناطق الأفريقية - المحيطة بها - والدليل على ذلك الاستنتاج أن المؤرخ عبد الرحمن السعدي الذي عاش في نفس الفترة التاريخية قد ذكر لفظ محضرة أثناء حديثه عن الحياة العلمية بالسودان الغربي[٣١]، وهي أول إشارة عن هدا الموضوع توردها المصادر التاريخية بحسب علم كاتب هذه الورقة .

ثانياً- نماذج من المراكز القروية بالمنطقة وأعلامها :

وفي محاولة لتبيَان مجالات التطور في الحياة العلمية في أهم المراكز القروية بالمنطقة، وإبراز دور بعض العلماء الذين عاشوا فيها خلال المدى الزمني لهذا البحث، والذين نالوا شهرة كبيرة ومقدرة علمية أهَلتهم إلى منح الإجازات العلمية لطلابهم، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد ، بل وصل إلى درجة مشاركتهم في حركة التأليف في شتى علوم عصرهم .

وغني عن البيان، أن ذلك سيوضح الفرضية التي تدرسها هذه الورقة، وهي تطور الحياة الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي خلال المدى الزمني لهذا البحث.

وسوف تتم الإشارة إلى نماذج من هؤلاء العلماء الأفذاذ حسب توزيعهم الجغرافي في المناطق ومن أهمها :

١- أزواغ :

تقع في الجزء الشمالي الشرقي من بلاد السودان الغربي, أي في الجزء الشمالي من دولة النيجر الراهنة .

وقد برز بمنطقة أزواغ خلال المدى الزمني لهذه الورقة أعلام افذاد من بينهم: الفقيه المجدد/ حدا حدا الذوسحاقي وهو كما يظهر من أسمه سليل أحد أسر قبائل ذو أسحاق الطارقية الشهيرة بالمنطقة ، وقد عاش في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، وذلك على رأي الباحث النيجري محمد أحمد الشفيع[٣٢].

ويبدو أن الإمام حدا حدا الذوسحاقي قد نال حظوة بين قبائل منطقة أزواغ، حيث عمل على جمع ثروة علمية هائلة، وبذا دفعته تلك المكانة السامقة التي وصل إليها إلى العمل على محاربة البدع والخرافات، التي كانت سائدة على عهده، كما عمل على إحياء السنــة وإماتة البدعة. وقد اوصلته تلك المكانة التي نالها إلى التحالف مع الفقيه حمدت، قاضي مجموعة (كل الأغلال)، وهــي قبيلة من زوايا الطــوارق، حيث تحــالفا الاثنان ضــد إمارة أجـادس وسلطانها محمد التفريــجي (١٠٣٣- ١٠٦٤هــ/ ١٦٢٥- ١٦٥٤م)، وقد وقع لهما خلاف مع بعض فقهاء المنطقة[٣٣]. وقد ناصب هؤلاء الفقهاء الإمام حدا حدا الذوسحاقي العــداء وعدّوه مارقاً عن الدين، وقرروا وضع حد له ولتصرفاته .

وقد ألف هؤلاء الفقهاء عدداً من المؤلفات في هذا المجال، وقد وقع الباحث على إحداها، وهي أرجوزة شعرية ألفها احدهم، وهو الفقيه محمد بن احمد بـن حامد، يقول فيها :

الحـــــمد لله الــذي قـــد أمـــر	بالطوع وانقيـــادنا للأمراء
ثم الصلاة والســـــــلام دائما	على الذي شرع شرعاً دائما
وهو الرسول المصطفى الممجد	سيد سائر الورى مـــــــحمد
وبعــد فــالــرد هنــا عــمــت	على حدا حدا كذا حمدت[٣٤] .

٢ – أزواد [٣٥] :

تقع في الأجزاء الشمالية من دولة مالي الراهنة ،وبالتحديد إلى الشمال من تنبكت ومنحنى نهر النيجــر، وتحدها من الناحية الغربية منطقة شنقيــط ومن الناحية الشرقية منطقة أزواغ، وتُفسر الرواية الشفوية في المنطقة لفظ أزواد بمعنى الحوض باللهجة المحلية لسُكان المنطقة[٣٦].

وعند الحديث عن أبرز عُلماء أزواد، وبالذات أروان لابّد من الإشارة إلى الوليّ الصالح سيدي أحمد بن آد السُوقيّ[٣٧]، الذي أستوطنها حوالي أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وتُورد المصادر التاريخية أن السُلطان

أحمد المنصور السعدي وأثناء حملته على السُودان الغربي ، قد كلّف قائد جيشه بنقل رسالة أورد المؤرخ محمد محمود الأرواني أخبارها بقوله : «... وحكى أنه عهد إلى قائد جيشه أنه إذا لقي الوليّ الصالح الشيخ سيد أحمد بن آد أن يستشيره في حال دخوله فإنه وليّ القُطر»[٣٨].

وواضح من النص أن السُلطان السعدي كان مُدركا للمكانة المهمة التي كان يشغلها أحمد بن آد في مُجتمع السُودان الغربي ، وهو ما دعاه إلى الدعوة إلى معاملته معاملة تليق بمقامه وقدره .

ويبدو أنه - و بعد هذه الحادثة - أستقر الشيخ أحمد بن آد نهائياً بأروان ، وقد كان عالماً، فقيهاً، لُغوياً، مُحدّثاً، وقد تلقى العلوم على يد شيخه الفقيه محمد محمود بغيغ الونكري (٩٣٠ - ١٠٠٢ هـ / ١٥٢٣ - ١٥٩٣ م). ومن المواد الدراسية التي درسها على يد شيخه صحيح البُخاري ومُسلم وكتاب الشفاء والمؤطأ. وقد شرّق برسم الحج إلى الأراضي المُقدسة، وقد تُوفيّ عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م[٣٩]. ومن عُلماء هذه الأسرة الذين عاشوا خلال المدى الزمني لهذا البحث الفقيه محمد أكين، نجل الفقيه أحمد بن آد، وقد عاش بأروان نائباً عن والده في مهامه الدينية والفقهية، ثُم تولى هذه المهام نهائياً عقب وفاة والده، وصار قاضياً راتباً بأروان[٤٠]. وخلف الشيخ محمد أكين بن أحمد آد نجلاً هو سيد الوافي، الذي يبدو أنه تولى مهام إدارية، لذا سمي (سيد الوافي الأمير)، أما أخوه طالبن بن محمد أكين فقد تولى القضاء فسمي القاضي طالبن[٤١]، وآخر سلسلة هذه العائلة الكريمة في زمن هذا البحث، ومما يسمح المجال بالإشارة إليها هو القاضي سيد الوافي بن طالبن بن محمد أكين بن أحمد آد، وهو من أعلام عصره تقلّد منصب القضاء والإفتـــاء بأروان , وتصدّر حلقات التدريس حتى توفي عام ١١٢١ هـ [٤٢] /١٧١٠ م .

ومن عُلماء كُنته (فرع الرقاقدة)، الذين عاشوا بأزواد خلال المدى الزمني لهذا البحث هو سيدي أحمد بن عُمر الرقادي، الذي كان عالماً جليلاً فاق أقرانه، واشتهر بتأليفه الشهير : «شفا الأسقام في الأمراض الظاهرة والباطنة من الأجسام»[٤٣]، كما قام بتدريس مُختلف العُلوم لطلاّب زمانه ، وتوفى عام ١٠٩٢ هـ [٤٤] / ١٦٨١ .

ولعل آخر الأمثلة من فقــهاء منطقة أزواد الذين تحدثت عنهم المصادر التاريخية، وذلك خلال المدى الزمني لهذه الورقة البحثية هو الفقيــه أندرفق بن الفقيه محمد أنظمت السوقي، العالم النحوي، اللغوي الشهير، وهو مؤلف كتاب شرح على ابن مالك في مُجلد كبير، أطلق عليه : (هيبة المالك على خُلاصة ابن مالك) ، ويعتقد كل من : صاحب إزالة الريب والشك والتفريط ، وصاحب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، بأنه كان حياً عام ١١١١ هـ [٤٥] /١٧٠١م.

٣ – شنقيط :

شنقيط أو شنجيط أو شنكيط كانت في الأصل تطلق على قرية من قرى ولاية أدرار الموريتانية، ومعناها: عيون الخيل، ويُقال إنها بُنيت في أول الأمر حوالي القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، ثم جُددت في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد في موضعها الحالي[٤٦]، ثم صار هذا الاسم علماً على القُطر كله الذي صار يُعرف بشنقيط وعلى أهله الذين عُرفوا باسم الشناقطة، وهي تُرادف موريتانيا الحالية.

والمقصود بشنقيط في هذه الفقرة أنها أحدى المراكز القروية التي شهدت نهضة ثقافية شاملة، وخُصوصاً منذ القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد .

أما عن موقع شنقيط فهو في الجزء الشمالي الغربي من السودان الغربي ، وتمتد من المُحيط الأطلسي غرباً حتى منطقة أزواد شرقــاً .

وقد كانت شنقيط موطناً لعدد من العلماء الأفذاذ، ومنهم : الــفقيه عُمر الوليّ بن الشيخ محمد عبد الله المحجوبي ، المتوفى عام ١٠٧٠ هــ / ١٦٥٩ م ، وهو مؤلف المُقدمة في الفقه وقصيدة في علم الكلام، وقصيدة مفيدة في شرح الأسماء الحسنى، وقصيدة طويلة في نحو مائتين وأربعين بيتاً يستسقى بها إذا امسك المطر، وأخيراً له تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نمط الحوضي[٤٧].

ومن الشخصيات التي لعبت دوراً ثقافياً مميزاً إبان القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي الفقيه عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي، الذي وصل إلى مكانة علمية أهلّته إلى أن يُلقّب بقاضي شنقيط وقد هاجر إلى البوادي والأرياف ناشراً للعلوم والثقافة عام ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م ، مما مكنه من الحصول

على لقب قاضي البراكنة[٤٨]، ويُعد الفقيه عبد الله بن محمد حبيب مرجعاً فقهياً مشهوراً في زمانه وقد نقل اليدالي أنه حج بيت الله الحرام ، وجلس في طريقه إلى الحج بمصر آخذاً العلوم من أشهر عُلمائها على زمنه ، ويُنسب إليه كتاب الأولياء وأنه تُوفيّ عام ١١٠٣ هـ / ١٦٩٢ م[٤٩].

وكذلك الفقيه سيد أحمد بن القاسم بن سيد أحمد بن علي بن يعقوب الوداني الحاجي، المُتوفيّ عام ١٠٨٦ هـ/ ١٦٧٥ م، وله فتاوي في الفقه سلك فيها طريق الاختصار[٥٠]، والفقيه عبد الله بن أبي المُختار محمد البوحسني ، وهو فقيه شنقيطي شهير أخذ العلوم على أبرز شيوخ زمانه ، وقد قام عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م برحلة إلى الحج مكنته من التتلمذ على أيدي بعض عُلماء الحجاز[٥١]. ورغم عدم إشارة المصادر التاريخية إلى تاريخ وفاته ، غير أن الباحث ددود ابن عبد الله استخلص ذلك التاريخ بقوله : «لم نجد من حدد تاريخ وفاته [الفقيه عبد الله البوحسني]، والظاهر أنه توفّى بعد وفاة ناصر الدين عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٧٤م وقبل وفاة ابن الأعمش عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م لان الأخير يترحم عليه عند ذكره في أسانيده»[٥٢].

وكذلك الفقيه محمد المختار بن الأعمش (١٠٣٦ - ١١٠٧ هـ / ١٦٢٦ – ١٦٩٦ م) أبرز فقهاء شنقيط خلال قرنه ، وقد وصفه أحمد بن الأمين الشنقيطي بأنه : « ... أول من أجاد من أهـل تلك البلاد – [يعني بلاد شنقيط] في تصنيف النوازل» [٥٣]، وقد أخذ العلم والفقه عن أشهر معاصريه من علماء المنطقة، ومنهم الفقيه محمد بن عبد الله المحجوبي - المشار إليه - وكما مارس ابن الأعمش الفُتيا في بلاد شنقيط، وكان له نصيب من المؤلفات العلمية في مجالات الفقه وعلم العقائد والنحو والنوازل، أهمها: «نوازل ابن الأعمش»[٥٤]. ولم يكتف ابن الأعمش بالتأليف وممارسة الفُتيا، بل جلس للتعليم ومنح الإجازات، ومن أمثلة ذلك منحه إجازة لمحمد بن الحاج عُثمان - الذي كان حياً بداية القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد - في مجال الفقه المالكي[٥٥]. وفي مختصر خليل[٥٦] بالذات[٥٧]، ولم تكن شنقيط – وبالذات بواديها الجنوبية والغربية – موطناً للعُلماء فقط ، بل عاش فيها الرجال الصالحين ، ومن أشهرهم الإمام ناصر الدين[٥٨]،

صاحب الحركة الإصلاحية التي قامت خلال النصف الثاني من الـقرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر الميلادي، وهي حركة إصلاحية، سياسية، دينية أرادت أن تقيم كياناً سياسياً على امتداد ضفتي نهر السنغال .

وقد نجحت هذه الحركة في بداية أمرها في وضع أساس للدولة الإسلامية التي كانت تخطط لها ، غير أنها تلقت ضربة موجعة من خصومها ، وحققوا عـليها انتصاراً كاسحاً بقتل إمامها ناصر الدين عام ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م .

وقد نجم عن هذه الحركة الإصلاحية جملة من الآثار الثقافية الهامة على رأسها أنها صارت مرجعاً لجملة حركات الإصلاح التي اجتاحت منطقة السودان الغربي والغرب الأفريقي عموماً فيما بعد[٥٩]، وقد سُميت هذه الحركات بالحركات الإمامية[٦٠]، وقد استلهمت تلك الحركات تراث حركة الإمام ناصر الدين، وعملت على إعادة الانتشار القاعدي للإسلام ومحاربة ظاهرة الاسترقاق، التي كانت ترسخ قواعدها القوى الأوروبية المتمركزة على السواحل الغربية للمنطقة. كما عملت حركة الإمام ناصر الدين على مُحاربة الممالك الوثنية المحلية وقتذاك[٦١]، ونظراً للآثار الهامة التي خلفتها هذه الحركة - كما سلف - فقد كتب الفقيه محمد اليدالي، المتوفى عام ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٣م كتاباً شيقاً في (أمر الولي ناصر الدين) . استعرض فيه جانباً من المناقب والخوارق المنسوبة إلى هذا الإمام ، مما يُعد وثيقة هامة حول الحياة العقلية في تلك الأنحاء، وذلك خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، مع أن اليدالي لم يكُن معاصراً للأحداث غير أنه يروي عن شيوخ عاصروها[٦٢].

٤ ــ فوتاتورو[٦٣] :

تقع منطقة فوتاتورو في حوض السنغال ، وتمتد على ضفتيّه لتشمل جزءاً من أراضي دولة موريتانيا الراهنة وجزءاً من مالي والسنغال، ويحدها المُحيط الأطلسي من الناحية الغربية، وقد وقع خلاف بين الباحثين حول تفسير اسم فوتاتورو[٦٤]، ومعروف أن منطقة فوتاتورو هي من اقدم مناطق الغرب الأفريقي صلة بالعقيدة الإسلامية، إذ يعود تاريخ الدعوة الإسلامية بها إلى عهد أميرها وارجابي بن رابيس المتوفى عام ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠م، والذي يُعد مؤسساً لما سميّ في التاريخ باسم إمارة

التكرور الإسلامية، وكانت عاصمة هذه الإمارة تتوسط منطقة فوتاتورو، وقد عملت هذه الإمارة على نشر العقيدة الإسلامية في تلك الربوع، وذلك في الفترة السابقة لقيام الحركة المُرابطية[٦٥] وترى مصادر أخرى أن الإسلام قد دخل فوتاتورو قبل هذا التاريخ ، ولكن تصاعد بشكل واضح زمن وارجابي بن رابيس، وهذا مما دعا البعض إلى الاعتقاد بأن الإسلام لم يدخل هذه المنطقة إلا في الثلث الأول من القرن الخامس الهجري[٦٦]، وقد أكد البكري قدم الإسلام في إمارة التكرور.

وتتمتع فوتاتورو بأهمية كبيرة نتيجة لموقعها الجُغرافي المُتميز وإمكانياتها الزراعية الهائلة، بل يُمكن اعتبارها حلقة رئيسية تربط الشمال (الصحراء) والجنوب (فوتاجالون وحوض غامبيا والنطاق الغابي) من جهة، وبين الشرق (حواضر حوض نهر النيجر) والغرب (المحيط الأطلسي)[٦٧].

وحيث أن فوتاتورو تقع في الضفة الجنوبية لنهر السنغال مما يعني أنها مُحاذية للأجزاء الجنوبية الغربية لبلاد شنقيط[٦٨]، التي شهدت حركة الإمام ناصر الدين، كما سلف الإيضاح، وذلك يعني أن هذه المنطقة قد نالت نصيبها من المؤثرات الهامة التي أحدثتها هذه الحركة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد[٦٩] .

٥ ــ ماسنة [٧٠] :

تقع إلى الشمال من مدينة جني[٧١] على الضفة اليُسرى لنهر النيجر في دولة مالي الحالية، وتميزت ماسنة بالخصوبة الزراعية والرعوية، وذلك بسبب وقوعها في منطقة غزيرة الأمطار، إضافة إلى جريان عدد من فروع نهر النيجر بها، وهذا ما جعـل منها نُقطة جاذبة للعديد من العناصر البشرية. ومن أبرزها قبائل الفلان الشهيرة بالمنطقة، والتي اتخذتها سكناً لها، كما سكنتها بعـض القبائل الأخرى مثل البمبارة والسوننكي والصنغي، وغيرهم من سُكان الصحراء الكُبرى.

وكونها تقع في موقع هام يتوسط جني وتنبكت عاصمتا الثقافة العربية الإسلامية في تلك الربوع، مما جعل منها مسكناً للعديد من العلماء الأفذاذ، الذين تضلعوا

في مختلف العلوم العربية الإسلامية ، ومارسوا التدريس في جوامعها وكتاتيبها ومحـاضرها ، ومـن هؤلاء العلماء : أحمد بن محمد الفلاّني ، الذي ولد بها ، حيث مرابع قبيلـته الفـلاّن ، ثُم هاجر شمالاً إلى تُنبكت ، وجلس للتدريس بها حتى وافته المنيّة عام ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م[٧٢] ومنهم الفـقيه محمد بن سعيد بن محمد كـداد بكر الـفلاّني، وهو من قبائل الفلاّن ، كمـا يظهر من اسمه ، وقد عرف بتضلعه في علم الحديث والفقه وكان مدرساً وواعظاً[٧٣]، وكذلك الفقيه أبو بكر الباركوم المعروف بالطاهر ابن إبراهيم الفلاّني ، وهو فقيه وعالم ومؤرخ شهير ، وقد رحل إلى بلاد الهوسـا وقام بدوره الثقافي هُناك[٧٤] .

ومن أعلام ماسنة أيضًا، القاضي محمد سنب بن القاضي محمد جُم بن الفقيه سنب مريم، وهو فقيه مُتمكن من مادته الفقهية، وقد تحدث عنه المؤرخ عبد الرحمن السعدي بإعجاب شديد، وسجّل في كتابه أنه قد قام بزيارته بماسنة التي كان يشغُل قاضيها، وذلك في أواسط ذي القعدة من عام ١٠٣٩ هـ/ ١٦٢٩ م ، وتلقى مُكرماته[٧٥]، وقد تُوفي القاضي محمد سُنب في الثاني من شوال عام ١٠٥٢ هـ / ١٦٤٢ م ، وذلك حسب رواية صاحب تاريخ السودان[٧٦].

ولم يكتف السعدي في زيارته لماسنة باللقاء مع قاضيها ، بل أُستُقبل بحفاوة من قِبل سُلطانها ومن أعيان المملكة ، مما شجعه على تكرار الزيارة بعد ثلاث سنوات، وأدى السعدي في هذه المُناسبة خدمة للسُلطان بعقد صُلح بينه وبين تابع له كان بينهما ثأر قديم[٧٧] ، وقد قام السعدي بهذا النوع من الوساطة مرات كثيرة بين أمراء المنطقة مما أكسبه خبرات واسعة وعلاقات وطيدة مع عدد كبير من حُكام المنطقة[٧٨].

وفي ختام الحديث حول الدور الثقافي لماسنة تجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة ، ونظراً لتجذر قواعد الثقافة العربية الإسلامية بها ، قد شهدت في فترات لاحقة خـلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي قيام مملكة ماسنة الإسلامية (١٨١٥ – ١٨٦٣ م) بزعامة الشـيخ أحـمد لوبو وابنه وحفيده[٨٩].

خـــاتمـــة

بعد دراسة موضوع :» تطور الحياة الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي خلال القرن ١١ هـ / ١٧ م « ، يُمكن استخلاص النتائج التالية :

- إن الحُكم المغربي على السودان الغربي، هو امتداد للسيادة السعدية الشريفة على أجزاء إسلامية تجاورها من الناحية الجنوبية ، وتُشاركها وحدة العقيدة ووحدة المصير والتراث المُشترك والأجناس المتداخلة منذ مدة زمنية موغلة في القدم.
- إن ظاهرة انتقال العُلماء والفُقهاء من المُدن والحواضر إلى البوادي والأرياف كانت بسبب سُقوط حواضر السُودان الغربي بيد الحُكم المغربي، وتفكك سلطنة صنغي التي كانت تتوحد عموم المنطقة تحت لوائها عام ١٠٠٠ هـ/ ١٥٩١ م .
- إن ظاهرة انتقال العُلماء والفُقهاء إلى الأرياف والبوادي – المُشار إليها – اختلف المؤرخون في تفسيرها وتقييمها . ففي الوقت الذي رأى البعض أنها نكسة للحركة العلمية ، اعتقد البعض الآخر أنها كانت تعبيراً عنيفاً عن الانتقال من مرحلة التحالف بين السُلطة والفُقهاء إلى مرحلة جديدة كان أبرز معالمها استغناء الحكام عن أخذ تشريع بالسلطة من الفقهاء ، أو استمدادهم الشرعية من مصادرها غير الإسلامية .
- نتج عن تلك التحولات هجرة العُلماء والفُقهاء إلى البوادي والأرياف، وصارت مصالح العُلماء والفُقهاء والمشائخ أكثر ارتباطا بمصالح العامة من سُكان تلك الأنحاء، ونتج عن ذلك انتشار الدراسات الإسلامية خارج المراكز الحضارية، وذلك في المناطق التي سُميت (المناطق القروية) .
- نظراً لتنامي أهمية السواحل الأطلسية نتيجة جُملة من العوامل صارت حركة انتقال العُلماء والفُقهاء متجهة في مرحلتها الأولى من المدن الأقرب إلى المراكز الساحلية ثُم إلى البوادي القريبة من السواحل الأطلسية فيما بعد .
- رغم أن هذه المناطق القروية قد شهدت ازدهارا ملحوظاً من الناحية العلمية، فإنها لم تنل الشُهرة والتعريف في المصادر التاريخية كما نالتها رصيفاتها

من المراكز الحضرية (المُدن). وذلك بسبب طابع البداوة الغالب على أهلها، ثُم أنها وبحكم كونها نائية عن المراكز الحضرية فهي لم تكن مركز جدب للمؤرخين والرحالة الذين يقومون بالتدوين والكتابة والتاريخ لأحوال المناطق التي يزورونها .

- ظهر نتاجاً لتلك الظروف المستجدة ظواهر أبرزها ابتكار مؤسسات علمية جديدة تناسب ذلك الوضع الجديد، فبدلاً من الحلقات العلمية التي كانت تحتضنها المساجد والجوامع والزوايا في الحواضر أُبتدع بتلك الربُوع (المحاضر): الجامعات البدوية المتنقلة، والتي هي مدارس علم، ورباط جهاد، ومنارة إشعاع.
- قامت هذه الظاهرة نتيجة عدة عوامل لخّصها الباحث الموريتاني المُعاصر خليل النحوي في كتابه : شنقيط : المنارة والرباط .
- ورغم أن قراءة كتاب خليل النحوي تُعطي انطباعا، وكأن ظاهرة المحاضر هي ظاهرة شنقيطية، أي خاصة ببلاد شنقيط ولكن الباحث يستنتج أن هذه الظاهرة كانت نتاجاً للظروف المُشار إليها في كامل أنحاء بلاد السودان الغربي، إن لم يكن في مُعظم المناطق الأفريقية المُحيطة بها، والدليل على ذلك أن المؤرخ عبد الرحمن السعدي، والذي عاش في زمن هذا البحث ذكر ذلك في كتابه (تاريخ السودان) أثناء حديثه عن الحياة العلمية في السودان الغربي .
- إن النماذج التي تمت الإشارة إليها في هذا البحث من عُلماء المنطقة وإنتاجهم العلمي، والتي ظهرت في كُلٍّ من : أزواغ ، وأزواد ، وشنقيط ، وفوتاتورو ، وماسنة خلال القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد توضح الفرضية التي انطلق منها هذا البحث ، وهي تطور الحياة الثقافية في بوادي وأرياف السودان الغربي خلال القرن ١١هـ/١٧م .

هوامش البحث

(١) يطلق السودان الغربي على المنطقة التي تشمل حالياً حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجرى الأعلي لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر، أنظر: الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر. (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩م)، ص ص١٧- ٢٠ والشيخ الأمين عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين: مالي وسنغي . (جدة : دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩ م) ، ص ١.

(٢) للإطلاع على الآراء التي تصف الحكم المغربي للسودان الغربي بالانهيار الكبير أو الفراغ الكبير، يمكن الرجوع – على سبيل المثال – إلى كل من : -
مادهو بانيكار. الوثنية والإسلام، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، ط٢. (القاهرة : المجلس الاعلى للفنون والثقافة، ١٩٨٨م)، ص ص ١٥١- ١٧٦، جمال زكريا قاسم. الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية. (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م)، ص ص ١٨٦- ١٨٩، حسن أحمد محمود. الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا. (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦م)، ص ص ٢٥٥ - ٢٥٨، محمد إلفا جالو. الحياة العلمية في دولة صنغي ١٤٦٤ - ١٥٩١م، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٣م، ص ص ٣٠٨ - ٣٣٦ والشيخ الأمين عوض الله مرجع سابق، ص ص ٨٨ - ١٢٢، وغيرها.

(٣) لمعرفة الآراء التي تقيّم الحكم المغربي للسودان الغربي بشكل ايجابي، يمكن مطالعة على سبيل المثال:- عبد الكريم كريم. المغرب في عهد الدولة السعدية، ط٢ (الدار البيضاء: شركة الطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، أحمد فتوح عابدين . الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، رسالة الدكتوراه، غير منشورة. (جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٨٩م)، ددود عبد الله. الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (١٧، ١٨)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، غير منشورة، (الرباط : جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٩٢ - ١٩٩٣م، الهادي المبروك الدالي. التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا، ص ص ١٩٤ - ٢١٥، سعيد حرّاش . العلاقات الفكرية بين العالم العربي الإسلامي وغرب ووسط أفريقيا وجنوب الصحراء خلال القرنين ١٠ – ١١ هـ / ١٦ -١٧ م من الرحلة إلى الهوية والكتابة ، رسالة جامعية لنيل شهادة الدراسات العليا ، غير منشورة (كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب ، ١٩٩٢ – ١٩٩٣ م) ، وغيرها .

(٤) مطير سعد غيث . الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي – دراسة في التواصل الحضاري العربي الأفـــريقي . (بيروت : دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٥م) ، ص ١٠٣ .

(٥) للمزيد حول امتداد الحكم المغربي على بلاد السودان الغربي، انظر: الفشتالي، عبد العزيز. مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريم. (الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الآسلامية، ١٩٧٧م ص ص ١١٧ - ١٦٩، محمد الغربي . بداية الحُكم المغربي في السودان الغربي . (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢م)، ص ص٢٢١ - ٢٨٢، الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، ص ص ١٧٤ - ٢١٦، مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، ص ص ١٠١ – ١١٤ وغيرهم .

(٦) الدولة السعدية (٩١٦ - ١٠٦٩ هـ / ١٥١٠ - ١٩٥٨م): قامت الدولة السعدية على فكرة دينية سياسية تدعو إلى التمسك بالدين القويم والحث على الجهاد ضد النصارى، انظر: الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد. الأستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري. (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٥٥م)، جـ ٥ ، ص ص ٣-١٢، عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص ص٣٣ - ٤٤، ابراهيم حركات. المغرب عبر التاريخ، طـ٢. (الدار البيضاء: المُنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧م)، جـ٢، ص ص ٢٧٢ – ٢٧٥ وغيرها .

(٧) مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان. (باريس: نشرهوداس، ١٩٦٦م)، ص٩٠.

(٨) أحمد المنصور السعدي : هو أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله السعدي، وقد شُهر بالذهبي وبالمنصور ، وهو رابع سلاطين الدولة السعدية ، وقد وُلد عام ٩٥٦هـ / ١٥٤٩ م وتُوفي عام ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م ، وتاريخ توليته السلطنة (٩٨٦ – ١١١٢هـ / ١٥٧٨- ١٦٠٣ م) . وللمزيد أنظر : إبن القاضي ، أحمد بن محمد . المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تحقيق: محمد رزوق. (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م) في جزئين والمقريّ، أحمد بن محمد. روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، طـ٢. (الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٨٨م)، ص ص ٣ - ٧٠ والإفراني ، محمد بن الصغير . نُزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق : عبد اللطيف الشاذلي. (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٨م) ، ص ص ١٤٦ – ٢٨١ والفشتالي ، مصدر سابق ، ص ص ٥٢ – ٥٣ والناصري ، الإستقصاء ، جـ ٥ ، ص ص ٥٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٨٦ وغيرها .

(٩) – مازالت توجد حتى الآن في مُعظم مُدن وقرى وأرياف ما كان يُسمى بالسودان الغربي أعداداً كبيرة من نسل هؤلاء الرماة، وقد تغيّرت ألوانهم ودماؤهم بطول المُعاشرة و الإختلاط والتزواج مع أهالي المنطقة. كما تغيّرت الفاظ أسماء عائلاتهم وقبائلهم وأنسجمت مع النُطق المحلي، فمثلاً يقولون الدراوي، ويقصُدون به الدرعي (نسبة إلى مدينة درعه في جنوب المغرب الأقصى)، كما يقولون الفاسي (نسبة إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى)، وهكذا أنظر: من لقاء مع محمود بن محمد ددب، المُلقب بحمو التنبكتي وهو مُدرس للعلوم الدينية ، ومستشار تربوي، وناسخ مخطوطات بتنبكت، وقد التقاه الباحث بمنزله بتنبكت يوم ٢٤-٣-٢٠٠٠ م ، نقلاً عن : مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، ص ٣٧٧ .

(١٠) الشيخ الأمين عوض الله ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ، ابراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م) ، ص ١٨٢ , و مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، ص ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

(١١) - محمد الغربي، مرجع السابق، ص ٥٦٩ وأحمد فتوح عابدين، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(١٢) عبد الهادي التازي. التاريخ الدبلوماسي للمغرب. (الدار البيضاء: مطابع فضاله، ١٩٨٦م)، جـ ٩، ص ٥٢، وحول تنبكت، راجع ماسوف يرد في مقبل الصفحات .

(١٣) - السعدي، عبد الرحمن . تاريخ السودان (انجي – فرنسا : طبعة هوداس ، ١٩٦٤م)، ص ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(١٤) – المصدر نفسه ، ص ٦١.

(١٥) - ددود بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(١٦) – المرجع نفسه ، ص ٨٣ .

(١٧) - تنبكت: تقع في الأجزاء الشمالية من دولة مالي الراهنة، وعرفت بمكانتها الثقافية والعلمية والاقتصادية، وجسّدت حلقة وصل بين السودان الغربي والشمال الأفريقي، انظر: السعدي، المصدر السابق، ص ٢٠ وما بعدها والهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ص٩٩ ومطير سعد غيث، الثقافة العربية الإسلامية، ص ص ١٨٥ – ١٩٠ وغيرهم.

(١٨) – السعدي ، مصدر سابق ، ص ص ٢٦٦ -٢٦٧ .

(١٩) – المصدر نفسه ، ص ٢٦٠.

(٢٠) – المصدر نفسه ، ص٢٦٧ .

(٢١) – آل أقيت : ينحدر آل أُقيت المسوفيين من مسوفة أحد بطون قبائل صنهاجة ، وقد عُرفوا بانتسابهم للعلم ، وحُظي أغلبهم بمكانة إجتماعية عالية بين سُكان المنطقة لإشتغالهم بالقضاء والتعليم ، وإعتبارهم من أهل الشورى والوجاهة والفتيا .وأنحدر منهم العلامّة الشهير أحمد بابا التنبكتي (٩٦٣- ١٠٣٦ هـ / ١٥٥٦ – ١٦٢٧ م) ووالده وأعمامه وأجداده , أصحاب المؤلفات العلمية العديدة . للمزيد أنظر : التنبكتي ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة . (طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية ، ١٩٨٩ م) والقادري ، محمد بن الطيب . نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تحقيق : محمد حجي ومحمد الكتاني . (بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١، جـ ١، ص ٢٧٤) والناصري ، مصدر سابق ، جـ ٥ ، ص ١٢٩ وغيرهم .

(٢٢) ـــ ولاته : يقال إن معناها : الأرض المُرتفعة ، وتقع إلى الشمال الغربي من تنبكت، وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ بلاد السودان الغربي ، أنظر: مارتي، بول. كنته الشرقيون، ترجمة وتعليق: محمد محمود ولدودادي. (دمشق: مطبعة زيد بن تابت، ١٩٨٥م)، ص ١٥ والسعدي ، مصدر سابق ، ص٢١ ومطير سعد غيث ، مطير سعد غيث، ص ص ٢٠٤ – ٢٠٧ وغيرها .

(٢٣) – البرتلي، محمد بن أبي بكر الصديق. فتح الشكور في معرفة أعيان عُلماء التكرور، تحقيق: محمد الكتـاني ومحمد حجي. (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١)، ص ١١٤ .

(٢٤) – الشنقيطي ، أحمد بن الأمين . الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، طـ ٤ . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) , ص٤٦٩ .

(٢٥) راجع مثلاً : اليدالي ، محمد . نصوص من التاريخ الموريتاني (شيم الزوايا – أمر الولي ناصر الدين – رسالة النصيحة) ، تقديم وتحقيق : محمدن ولد باباه . (تونس – قرطاج : بيت الحكمة ، ١٩٩٠ م) ، ص ٧٨ وما يليها .

(٢٦) من لقاء مع الباحث النيجري محمد أحمد شفيع ، نقلاً عن مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، ص ٢٠٧ .

(٢٧) كثيراً ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد والزاوية ، ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة ، كمـا أن بعض الزوايا والمساجد كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة والتداخل ليس في الاسم فقـط بل في الوظيفة أيضاً فالجوامع والمساجد كانت مراكز للعبادة والتعليم ، وكذلك كانت الزوايا . وكذلك كانت الزوايا – أيضاً – في الغالب رباطاً أو ملجأ أو مسكناً للطُلاب والغرباء ومركزاً لتلقين الأذكار واستقبال المريدين . كمـا أن حجم هذه المؤسسات له دخل في تحديد وظائفها ، فالجامع اصطلاحاً أكبر حجماً من المسجد ، فهو الذي تؤدي فيه الصلاة في الجامعة أو الجمعة ، أنظر :أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي .(الجـزائر : الشركة الوطنية للنشـر والتوزيع ،١٩٨١م) ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

(٢٨) المحاضر : لقد امتلى عُلماء وشعراء المنطقة فخراً بهذه المؤسسة العلمية الوليدة ، وتفتحت قرائحهم شعراً ، فها هو المختار بن بونة الجكني (ت ٢٢٠ / هـ / ١٨٠٤ م) ، الذي كان صاحب أحدى هذه المحاضر المتنقلة ، والذي عاش في القرن اللاحق لزمن هذه الورقة يصف محضرته قـائلاً :

نحن ركب من الأشراف منتظم *** أجل ذا العصر فدان دون أدنانا

قد أتخدنا ظهور العيس مدرسة *** بهـا نبـيّن ديـن الله تـبيانـا

من قصيدة طويلة له مودعة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي ، نواكشوط – موريتانيا .

(٢٩) خلـيل النحوي . شنقيط : المنارة والرباط . (تونس : المُنظمة العربية للعلوم والثقافة ، ١٩٨٧ م) ص ٨٠ .

(٣٠) الصفحة نفسها .

(٣١) السعدي ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .

(٣٢) من لقاء مع الباحث النيجري/ محمد أحمد شفيع نقلا عن: مطير سعد غيث، مرجع سابق، ص ٢١٢.

(٣٣) نفس اللقاء السابق وددود بن عبد الله ، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ، ص ٩٨ .
(٣٤) محمد بن أحمد بن حامد من علماء أجادس في النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد ، وهو من حاشية السلطان محمد التفريجي ، سلطان أجادس - انذاك - وقد دافع عن مخدومه بأرجوزة شعرية ، نقلا عن : مطير سعد غيث ، مـرجع سابق ، ص ص ٢١٢ - ٢١٣ .
(٣٥) منطقة أزواد : تشمل حالياً مُعظم ولايات مالي الشمالية ، وهي : تنبكت وجاو وكيدال .
(٣٦) مطير سعد غيث ، مرجع سابق ، ص ٢١١ .
(٣٧) الوليّ الصالح أحمد بن آد السُوقيّ ، هو الجد الأعلى للمؤرخ محمد محمود الأرواني ، مؤلف تاريخ الصحراء والسُودان ، وهو مصدر من مصادر هذا البحث .
(٣٨) الأرواني ، محمد محمود . تاريخ الصحراء والسُودان وبلد تُنبكت وشنقيط و أروان في جميع البُلدان ، دراسة وتحقيق وتقـديـم : الهـادي المبروك الدالي .(بنغازي : دار الكُتب الوطنية ، ٢٠٠٨ م) ، ص ٦٦ .
(٣٩) المصدر نفسه، ص ٧٦ والهادي المبروك الدالي . التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بـداية القـرن الثـامن عشر .(طرابلس : الشركة العامة للورق والطباعة ، ٢٠٠٠ م) ، ص ٢٢٤ .
(٤٠) الأرواني، تاريخ الصحراء والسودان، ص ٧٦ والهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ص ٢٢٤ .
(٤١) الأرواني ، تاريخ الصحراء والسودان ، ص ١١٩ .
(٤٢) التكني ، أحمد أبو الأعراف . إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، دراسة وتحقيق وتقديم : الهادي المبروك الدالي . (الزاوية : مطابـــع الوحدة العربية ، ٢٠٠٦ م) ، ص ٢٠٠ .
(٤٣) الرقادي ، أحمد بن عُمر . شفاء الأسقام في الأمراض الظاهرة والباطنة من الأجسام . مخطوط ، مركز أحمد بابا للتوثيق البحوث التاريخية ، تُنبكت (مالي) ، طب ، رقم ٥٧١٩ .
(٤٤) التكني ، مصدر سابق ، ص ٩٢ .
(٤٥) البرتلي ، فتح الشكُور ، ص ٩٦ و التُكني ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ .
(٤٦) الشنقيطي ، الوسيط ، ص ٣٢٢ والخليل النحوي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .
(٤٧) البرتلي ، فتح الشكُور ، ص ١٨١ .
(٤٨) اليدالي ، مصدر سابق ، ص ٧٨ .
(٤٩) المصدر نفسه ، ص ص ١٢٢ – ١٢٣ .
(٥٠) البرتلي ، مصدر سابق ، ص ٤٠ والتُكني ، مصدر سابق ، ص ١٠٢ .
(٥١) ددود بن عبد الله ، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ، ص ١٩٤ .
(٥٢) الصفحة نفسها ، وحول الإمام ناصر الدين راجع ما سيرد في مُقبل الصفحات .
(٥٣) الشنقيطي ، الوسيط ، ص ٥٧٨ .

(٥٤) ابن الأعمش ، محمد المختار . نوازل ابن الأعمش . مخطوط ، الخزانة الحسنية ، الرباط (المغرب) ، رقم ٤٢ ٥٧ والشنقيطي ، الوسيط ، ص ٥٨٧ .

(٥٥) الفقه المالكي : يُنسب إلى الفقيه مالك بن أنس ابن أبي عمرو بن الحارث (٩٣ – ١٩٧ هـ / ٧١١ – ٧٩٥ م) وأشهر مؤلفاته كتاب (المؤطأ) ، وقد شاع هذا المذهب في بلاد المغرب والسودان الغربي . ويعتقد أن انتشار المذهب المالكي بالسودان الغربي وتوطده راجعاً إلى عدة أسباب منها : ملائمة المذهب للطبيعة البدوية للمنطقة ، فهو مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ، ويناسب بساطتهم في الصحراء دون تكّلف أو تعقيد ، فهم يميلون إلى البساطة والوضوح والحرص على التمسك بالإسلام وأصوله خوفاً من الإنزلاق في مهاوي الظلالات : أُنظر : ابن عياض ، عياض بن موسى اليحصبي ، ترتيب وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي (الرباط : منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٦٧ م) ، جـ ١ ، ص ٦٥ وعُمر الجيدي . محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي . (الدار البيضاء : منشورات دار عُكاظ ، ١٩٨٧ م) ، ص ٢٩ .

(٥٦) مُختصر خليل : صاحب المُختصر هو خليل بن إسحاق بن موسى شعيب المالكي المصـري من رجال القرن الثامن للهـجرة / الرابع عشـر للميلاد ، وهو إمام شهير ، وقد حمل لواء مذهب مالك في مصر في زمانه ، وقد وضع مُختصراً على وضع مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وقد طارت شُهرته بالسودان الغربي، وألفت العديد من الكتب في شرحه، وقد توفـي الشيخ خليل بن إسحاق عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٤ م ، أُنظر : ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد . الديباج المُذهب في معرفة أعيان عُلماء المذهب . (بيروت : دار الكُتب العلمية ، د – ت) ، ص ص ١١٥ – ١١٦ والزركلي ، خير الدين . الأعلام . (بيروت : دار العلم للملايين) ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ .

(٥٧) البرتلي ، فتح الشكور ، ص ١١٨ .

(٥٨) لمعلومات أوفر عن حركة الإمام ناصر الدين، أُنظر: اليدالي، المصدر السابق، ص ١١٨ وما بعـدها ، محمد المختار ولد السعد. حرب شربيه أو أزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغربي الموريتاني . (نواكشوط : المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ١٩٩٤ م) ، ص ص ٨٤ – ١٠٢ وأحمد بن الحسن . حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا ، حوليات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، نواكشوط ، ١٩٨٩ م ، ص ص ٥ – ١٧ وددود بن عبد الله ، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ، ص ص ٩٩- ١٠٩ ومحمد بن سيدي محمد بن أحمد ، المرجع السابق ص ص ٢٤ – ٣٥ .

(٥٩) مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، ص ١٧٤ .

(٦٠) أحـمد بن الحسن ، حركة الإمام ناصر الدين ، ص ١٣ وما بعده ومحمد بن سيدي محمد بن أحمد ، مرجع سابق .

(٦١) مطير سعد غيث ، الثقافة العربية الإسلامية ، ص ١٧٥.

(٦٢) ددود بن عبد الله ، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ، ص ٩٩ .
(٦٣) شكلت منطقة فوتاتورو الموضوع الرئيسي للمخطوط الهام ، الذي كتبه الشيخ موسى أحمد كامره ، وحُقق أخيراً ، أُنظر : كامره ، موسى أحمد . زهور البساتين في تاريخ السوادين ، تحقيق وتقديم وتعليق : ناصر الدين سعدوني ومُعاوية سعدوني . (الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠١٠ م) .
(٦٤) للمزيد حول التفاسير المتعددة لاسم فوتاتورو ، أُنظر : محمد ولد سيدي ولد أحمد ، مرجع سابق ، ص ص ٢ – ٥ .
(٦٥) البكري ، أبو عبد الله عبد العزيز . المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، وهو جزء من المسالك والممالك . (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، د - ت) ، ص ١٧٥ ومن أجل معلومات أوفر عن مملكة التكرور الإسلامية ودورها في نشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي ، أُنظر : مطير سعد غيث ، مرجع سابق ، ص ص ٦٥ – ٦٧ .
(٦٦) محمد بن سيدي محمد بن أحمد ، مرجع سابق ، ص ٩؛ ابن فودي ، عُثمان بن محمد . تنبيه الإخوان على أحوال أرض السـودان . مخطوط ، معهد البحوث في العلوم الإنسانية، نيامي (النيـجر) ، رقم ٢٦٥ ، ورقـة رقم ٥ .
(٦٧) من مُقدمة زهور البساتين ، مصدر سابق ، ص ٢٩ .
(٦٨) أُنظر الفقرة السابقة (شنقيط) .
(٦٩) أحمد بن االحسن ، حركة الإمام ناصر الدين ، ص ص ١٢ – ١٤ .
(٧٠) ماسنة: كتبها البعض ماسينا ومسينا ومـاسنة ، وسـنأخذ بمـا كتبه السعدي ، الذي ضـبطها (ماسنة)، وذلك لأنه زارها وعاش بها، وهو الأدرى بصحة نُطقها ورسمها ، أُنظر : السعدي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٠ وما بعدها .
(٧١) جني : أحد حواضر السودان الغربي ، وتقع إلى الجنوب من تنبكت .
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ ومحمد الغربي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .
(٧٣) السعدي ، مصدر السابق ،ص ٢٤٣ ومحمد الغربي ، مرجع سابق ، ص ٥٢٨ .
(٧٤) ابن فودي ، محمد بلو بن عُثمان .إنفاق الميسور في تاريخ بـلاد التكرور ، تحقيق : بهيجة الشاذلي (الرباط : منشـورات معـهد الدراسـات الأفريقيـة ، ١٩٩٦ م) ، ص ٧١ .
(٧٥) السعدي ، مصدر سابق ، ص ص ٢٣٠ – ٢٣٢ .
(٧٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .
(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .
(٧٨) أحمد فؤاد بلبع . عبد الرحمن السعدي ، عصره وكتابه ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة : ٢٠ (١٩٧٣ م) ، ص ١٠٥ .
(٧٩) حسن علي منيسي . دولة ماسنة الإسلامية في الفترة من ١٨١٥ – ١٨٦٣ م . رسالة مُقدمة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأفريقية (تاريخ حديث ومُعاصر) ، (القاهرة : معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ م) ، غير منشورة .

المـــصادر والمـــراجع

أولاً – المـصادر :

- المخطوطات :

١- ابن الأعمش ، محمد المختار . نوازل إبن الأعمش . مخطوطة ، الخزانة الحسنية ، الرباط (المغرب) ، رقم ٤٢ .

٢- ابن فودي ، محمد بلو بن عُثمان . تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان . مخطوطة ، معهد البحوث في العلوم الإنسانية ، نيامي (النيجر) ، رقم ٢٦٥ .

٣- الرقادي ، أحمد بن عُمر . شفاء الأسقام في الأمراض الظاهرة و الباطنة من الأجسام . مخطوطة ، مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية ، تُنبكت (مالي) ، طب .

- المـصادر المنشورة العربيـة والمُعرّبة :

١- ابن عياض ، عياض بن موسى اليحصبي . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي . (الرباط : منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٩٦٧) .

٢- ابن فرحون ، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد . الديباج المُذهب في معرفة أعيان عُلماء المذهب . (بيروت : دار الكُتب العلمية ، د – ت) .

٣- ابن فودى ، محمد بللو بن عُثمان . إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق : بهيجة الشاذلي . (الرباط : منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، ١٩٩٦ م) .

٤- ابن القاضي ، أحمد بن محمد . المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تحقيق : محمد رزوق . (الرباط : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ م) .

٥- الأرواني ، محمد محمود . تاريخ الصحراء والسُودان وبلد تُنبكت وشنقيط وأروان في جميع البُلدان ، دراسة وتحقيق وتقـديم : الهادي المبروك الدالي . (بنغازي : دار الكُتب الوطنية ، ٢٠٠٨ م) .

٦- الإفراني ، محمد الصغير . نُزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تقديم وتحقيق : عبد اللطـــيف الشاذلي . (الرباط : مكتبة الطالب ، ١٩٩٨ م).

٧- البرتلي ، محمد بن أبي بكر الصديق . فتح الشكور في معرفة أعيان عُلماء التكرور ، تحقيق : محمد الكتاني ومحمد حجي .(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .

٨- البكري ، أبو عبد الله عبـد العزيز . المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، وهـــو جزء من المســالك والـممالك . (الـقاهرة : دار الكتـاب الإسلامي ، د – ت) .

٩- التكني ، أحمد أبو الأعراف . إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، دراسة وتحقيق وتقديم : الهادي المبروك الدالي . (الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، ٢٠٠٦ م) .

١٠- التُنبكتي ، أحمد بابا . نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة . (طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية ، ١٩٨٩ م) .

١١- الزركلي ، خير الدين . الأعلام . (بيروت : دار العلم للملايين) ، جـ ٢ .

١٢- السعدي ، عبد الرحمن تاريخ السودان . (انجي – فرنسا : طبعة هوداس ، ١٩٨٨ م) .

١٣- الشنقيطي ، أحمد بن الأمين . الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، طـ ٤ . (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .

١٤- الفشتالي ، عبد العزيز ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشُرفاء ، دراسة وتحقيق : عبد الكريم كريم . (الرباط : مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٧٧ م) .

١٥- القادري ، محمد بن الطيب . نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تحقيق : محمد حسن ومحمد أحمد .(بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١ م) / ج ١ .

١٦- كـامره ، موسـى أحمد . زهور البساتين في تاريخ السوادين ، تحقيق وتقديم وتعليق : ناصر الدين سعدوني ومُعاوية سعدوني . (الكويت : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠١٠ م).

١٧- مارتي ، بول . كنته الشرقيون ، ترجمة وتعليق : محمد محمود ولدودادي . (دمشق : مطبعة زيد بن تابت ، ١٩٨٥ م) .

١٨- مجهول. تذكرة النسيان في أخبـار مـلوك السودان . (باريس : نشر هوداس ، ١٩٦٦ م) .

١٩- المقري ، أحمد بن محمد . روضـة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، طـ ٢ . (الرباط : المطبعة الملكيـة ، ١٩٨٨ م) .

٢٠- النـاصـري ، أبو العباس أحمد بن خالد . الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصـى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ومحمد الناصري . (الدار البيضاء : دار الكتاب : ١٩٥٥ م) ، جـ ٥ .

٢١- اليدالي ، محمد . نصوص من التاريخ الموريتاني (شيم الزوايا – أمر الولي ناصر الدين – رسالة النصيحة) ، تقديم وتحقيق : محمدن ولد باباه . (تونس – قرطاج : بيت الحكمة ، ١٩٩٠ م) .

ثانياً – المـراجع :

- المراجع العربيـة والمُعرّبـة :

١. بانيـكار ، مادهو . الوثنية والإسلام ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، طـ ٢ .(القاهرة : المجلس الأعلى للفنون والثقافة ، ١٩٨٨ م) .
٢. التازي ، عبد الهادي . التاريخ الدبلوماسي للمغرب . (الدار البيضاء : مطابع فضاله ، ١٩٨٦ م) ، جـ ٩ .
٣. الجيدي ، عُمر . مُحاضرات في تاريخ المذهب المالكي في المغرب الإسلامي . (الدار البيضاء : منشورات دار عُكاظ ، ١٩٨٧ م) .
٤. حركات ، إبراهيم . المغرب عبر التاريخ ، طـ ٢ . (الدار البيضاء : المُنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٧ م)، جـ ٢ .
٥. الدالي، الهادي المبروك. التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر. (القاهـرة: الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩م).
٦. الدالي، الهادي المبروك. التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر. (طرابلس: الشركة العامة للورق والطباعة ٢٠٠٠ م).
٧. سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ م) ، جـ ١ .
٨. السعد ، محمد مُختار . حرب شربيه أو أزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغربي الموريتاني . (نواكشوط : المعهد الموريتاني للبحث العلمي ، ١٩٨٤ م) .
٩. طرخان ، إبراهيم علي . دولة مالي الإسلامية . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م) .
١٠. عوض الله ، الشيخ الأمين . العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسُنغي (جدة : دار المُجمع العلمي ، ١٩٧٩ م) .
١١. الغربي، محمد. بداية الحُكم المغربي في السودان الغربي. (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢ م).
١٢. غيث ، مطير سعد . الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مُجتمع السودان الغـربي ، دراسة في التواصل الحضاري العربي الأفريقي . (بيروت : دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٥ م) .
١٣. قاسم ، جمال زكريا . الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية . (القاهرة : دار الفكـر العربي ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٨٧ م) .
١٤. محمود ، حسن أحمد . الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا . (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ م).
١٥. النحوي ، خليل . شنقيط : المنارة والرباط . (المُنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٩٨٧م) .

- الرسائل العلمية :

١. أحمد ، محمد بن سيدي محمد . الإصلاح الإسلامي في غرب أفريقيا (الحركة الإصلاحية في فوتاتورو ١٧٧٦ – ١٨٣٤ م) .

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ . (القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية ، ٢٠٠١ م) ، غير منشورة .

٢. جالو ، محمد إلفا . الحياة العلمية في دولة صنغاي ١٦٦٤ – ١٥٩١ م ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القُرى ، مكة المُكرمة ، ١٩٩٣ م .

٣. حراش ، سعيد . العلاقات الفكرية بين العالم العربي والإسلامي وغرب ووسط إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين ١٠ – ١١ هـ / ١٦ -١٧ م من الرحلة إلى الهوية والكتاب . رسالة جامعية لنيل شهادة الدراسات العُليا ، غير منشورة ، كُلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب ، ١٩٩٢ – ١٩٩٣ م .

٤. عابدين ، أحمد فتوح الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي ، رسالة دكتوراة غير منشورة . (جامعة القاهرة : معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ١٩٨٩ م) .

٥. عبد الله ، ددود . الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (١٧ – ١٨ م) ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العُليا في التاريخ ، غير منشورة . (الرباط : جامعة محمد الخامس ، كُلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٩٢ – ١٩٩٣ م) .

٦. منيسي ، حسن عليّ . دولة ماسينا الإسلامية في الفترة من ١٨١٥ – ١٩٦٣ م . رسالة مُقدمة للحصول على درجة الدكتوراه الفلسفة في الدراسات الأفريقية (تاريخ حديث ومُعاصر) ، (القاهرة : معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ م)، غير منشورة .

- الدوريات :

١. بلبع ، أحمد فؤاد . عبد الرحمن السعدي عصره وكتابه ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة : ٢٠ (١٩٧٣ م) .

٢. الحسن ، أحمد «حركة الإمام ناصر الدين ومنزلتها من تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا» حوليات كُلية الآداب والعلوم الإنسانية ، نواكشوط : (١٩٨٩ م) .